

تصدير

بقلم
المفكر العراقي الكردي
مسعود محمد

جميل أن ينشط أحد أبناء العروبة الى الاعتناء بالعشائر الكردية الساكنة في عراق اليوم فيقوم بتناول احوالها وأوطانها وأصولها في اطار من منطلق (الأخوة العربية الكردية) وماشد حاجتنا الى الأخوة وماشد حاجة غيرنا من سكان الدول الأخرى ومن عامة البشر الى التآخي والتصافي فقد تم الشيع من بركات التخاصم والتذابح الى حد القرف وجاوزت فضائل الأنانية والأشعبية وتفضيل الذات حدود الاحتمال حتى فاض الكيل بالمكيل وسال الدم عوضاً عن ماء العينين ودفقات الينابيع تنساب بخيوط اللجين من الثلج الذائب في اكناف الجبال ...

وجميل منى ، بل هو دين ثابت في ذمتي ، ان يكون تقديمي لهذا الجهد منبعثاً من الحرص على وثاقة مواطىء الخطى لقلمي بتجنب الأنسحاق الى نعومة الرمال المتحركة اللينة الملمس نحو كلام تتعشمه الأمنية والرغبة الخالصة على حين تدعو المصلحة الحقيقية الالتزام بالصدق على علّات الأحوال مهما تكن مراتبه من الحلاوة والمرارة وربما كان أمر الدواء أشفاةً للداء وليس بعد الحق الا الضلال .

لم تعد الأروقة الكردية كما كانت قبل قرون من الزمان مستسرّة في الخفاء مسرلةً بالأوشية الوهمية يحوكها الراوي والحاوي على حسب المزاج فينسبها الى الأصل الذي تفضله الجهة المستولية على مقاليد الأمور حتى وجدنا الرواية التي ترد أصل الكرد الى اختلاط البشر بالجان

فياالعظمة المؤرخ في نقله اسطورة تلغى اول ماتلغى عقل المؤرخ نفسه .
فالبشر المتطور إن بلغ بل جاوز مرحلة فلق الذرة وغزو الفضاء لم يهمل
مستغلقات التأريخ فقد فك رموز الخطوط الصورية والمسمارية وقرأ ايماء
النقوش ودلالة اللقى الأثرية المهشمة فكان من نتائج جهوده خلال القرنين
الاخيرين في هذا الميدان انكشاف الماضي السحيق للنظر الدقيق والميزان
المستقيم وتم فرز الروايات الأسطورية عن الحقائق التاريخية في لوح تام
التفصيل متناغم مع نفسه لا يخطئه طالب المعرفة . ومن حسن حظ قراءة
التأريخ أنها تمت على يد علماء تتساوى عندهم ان تكون نتيجة الكشف
ما تكون فما يهمهم ان تكون أكيباتانا للميديين أم للفرس الخامنشين
ويستحيل تواطؤهم على التلفيق فقد اختلفوا في كثير من القرآن أول أمرها
حتى امكن في النهاية أن يتحدوا أو يتقاربوا في الرأي ... شاميليون
الفرنسي يعكف على رموز (حجر رشيد) عشرين سنة غير مأجور على عمله
حتى يفكها فيما يشبه عملا من اعمال الألهام فقد مضت الوف السنين
على الكتابات الهيروغليافية وهي تقع تحت محو أثرها وقد ينشط بعضهم
من نبغاء الكشف والنبش الى سرقة الكنوز المدفونة في بطون اللحد
والاهرام طامسين بذلك سطوراً لاتعوض من سفر التأريخ فياحظ أثر
مكتوب أو مصبوغ أو منحوت يقع في يد عالم مهووس بحل الطلاسم
فيسرقه الى بلده حيث يعكف عليه ثم يستقر في مأمن لاتمتد اليه يد حفار
القبور فيبقى ذخراً حضارياً حماه الحرامى من عبث صاحب الدار ...
وتلك احدى الكبر !!

فاليوم اذ نتكلم عن أصل وفصل قومية حية أو دائرة لانكون كحاطب
ليل أو راجم غيب : ففي حالة مثل حالة القومية الكردية الحية والنابضة
بالحياة رغم العقابيل والصعوبات الظاهرة والخفية يجرى الكلام في النور
وفي اليقين فهي واحدة من القوميات المكونة من الفرع الشرقي للقبائل
الهندية الأوربية التي انشطرت شطرين أنتشر شطرها الغربي في اوروبا ،
وقد انشطرت الشرقي منهما بدوره الى هندي وايراني فما كان منه هنديا

سميت لغته بالسانكريتية وأقدم مدوناتها هي الـ(فيدا) او (ريگ فيدا) ويقدر ميلادها في اواسط الألف الثاني قبل الميلاد [مقدمة فقه اللغة ايراني تأليف اي . م . أرانسكى - ترجمة كريم كشاورز الى الفارسية ص : ٤٤]. وأما الفرع الذي سمي ايرانيا فقد كان متكوناً من قبائل او مجموعات قبائل تتكلم لهجات متقاربة تباعدت بنسب متفاوتة حسب البعد والقرب المكاني ومقدار الاختلاط والتواصل بين بطونها وأفخاذها - ولفظة ايران لاتعنى (فارس) بحال من الاحوال فهي في مقام مصطلح (السامي) في اشتماله على جملة لغات وارومات ذات منشأ واحد قديم . فالفرس جزء من هذا الفرع الايراني ولم يكن اقوى او اظهر اجزائه قبل اواسط القرن السادس قبل الميلاد فلقد كان الميديون - اجداد الكرد ، اول قومية شكلت دولة وتوسعت لتصبح امبراطورية بعد قضائها بالتعاون مع البابليين على دولة اشور في ٦١٢ ق . م [فرهنگ ايران باستا لداودپور وغيره من مصادر كثيرة] والاثر المكتوب الخطير لهذه المجموعة الايرانية هو كتاب زرادشت الموسم (أقيستا) ويعزى الى اوائل القرن السادس قبل الميلاد من جانب جماعة من علماء الاثار واللغات القديمة وان كان شبه اجماع حاصل على ان اقساماً منه أقدم تاريخياً من ذلك بألف سنة او اكثر . وهناك قول للفيلسوف افلاطون يرجع بعهد زرادشت الى ستة الاف سنة قبل زمانه وهو من غرائب الاخبار التي لم أقع على تكييف او تفسير مقنع لها ولا مجال هنا للخوض في عبابه . ونحن نعلم ان العلامة الفارقة للشعوب هي اللغة التي تتكلم بها فلايستطيع احد ان يبرهن على ان اصله هو عربي او تركي او روماني منذ خليقة الاولى فالثابت الذي لاياتيه الشك هو ان اصل الكثيرين ممن يعرفون على أنهم عرب او كرد او فرس هو من ارومة اخرى نزحت فسكنت موضعاً تخلفت بأخلاق سكانه وبدلت لسانها بلسانهم فصارت منهم . والغالب ان يسود العنصر الحاكم بلسانه وثقافته وعاداته ومثله وعقيدته وقد رأينا رأى العين كثرة كاثرة بدلت ولاءها لما قبل تموز بولاء جديد لعبد الكريم قاسم ثم للعهد الذي بعده ...

«تسقط الطير حيث يلتقط الحب ...»

فلاخفاء في أصل الأرومة الكردية وانتشارها في الشرق الأوسط لاسيما بعد سقوط آشور وزوال الموانع للانتشار .. وحديث ماذا يعني (العراق) قديماً وحديثاً وماذا كانت تشكيلة سكانه منذ ثلاثة آلاف سنة حتى الفتح الإسلامي على عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب فذاك حديث يطول بما لا يتسع له المجال واكتفى القول فيه بان تجاور الكرد والعرب حصل بعد انهيار دولة الساسانيين ، والملاحظ انه لم يحصل احتكاك ذو بال بين الفاتح المسلم وبين الكرد لسبب من منتهى الوضوح وهو ان الكرد كانوا مواطنين من الدرجة الثالثة والرابعة فلم يحصل من الفاتح الجديد توجس تجاههم فبقوا حيث كانوا ساكنين بل انتشروا في مواضع خلت بانحسار سكنتها من الفرس اثر انتقال حكومة يزدجرد الى نهاوند شرقي سلسلة زاغروس .. ونطوى الزمن حتى نصل يومنا هذا لنتكلم فيه عن الأخوة العربية الكردية ونحن نردها على أنها بديهية مفروغ منها وهي ليست كذلك فلم تكن الأخوة بين الشعوب قط من الأمور السهلة البسيطة حتى أن الأخوة الكردية الكردية والأخوة العربية العربية او في اية امة اخرى عبر الأزمنة والأمكنة ليست قضية مسلمة ولاحالة دائمة فالمآسى التي تقع ضمن إطار المواطنة والتجاور والتشابك اقرب الى الاحتمال حتى ان الأخوين والجارين واهل المحلتين والعشيرتين اكثر استعدادا للخصومة على المصلحة او الطمع او ماتشتهي النفس بسبب قرب المسافة ودوام الاحتكاك وحب الامتلاك ، اما البعيد الذي ليس لنا اتصال به فلاوجه للتخاصم معه فنحن لاشائبة بيننا وبين شعب آيسلنده وسكنة الجرينلند وهونولولو ، ويكون الاشتباك بالأجنبي في حالات الغزو والاكنتساح سواء كانوا هم ام نحن المكتسحين ولعنة الله على القوم الظالمين ..

في ضوء ماتقدم يكون اختبار علائق الأخوة بين العرب والكرد وارداً في الاحوال التي كان فيها العرب والكرد عائشين ضمن تكوين واحد وقد كان ذلك حادثاً على ايام حكم الأمويين والعباسيين فقد كانوا حكاماً على مجموع البلدان التي دخلت في الاسلام والكرد كانوا احد المكونات لرعايا

دولة الاسلام .. ولايعتبر النصف الثاني لحكم العباسيين مختبراً للعلائق بين العرب والکرد لان الخلفاء لم يكونوا يملكون كثيراً من الأمر خلاله . وبعد سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ . خرج الحكم عن يد العرب حتى وقع في يد العثمانيين لقرون عدة وفي كل هذه العهود لم يكن العراق معروفاً على هيأته الحالية ولاكانت سكنته تعتبر من مواطني (العراق) وكان المصطلح يومئذ يشمل المساحة المنتهية بتكريت . وبعد الحرب الاولى تأسس العراق على النحو الذي نعرفه ولاتعتبر الفترة من اول تشكيل العراق حتى ١٤ تموز ١٩٥٨ مختبراً للعلائق بين الشعبين ، ونقول (الشعبين) مجازاً لان العلائق كانت تختبر بين الحاكم في بغداد وبين مجموع الناس العراقيين ومنهم الكرد . ويسبب هيمنة الانجليز لم يكن في امكان الحاكم العراقي أن يفعل مايشاء ولكن حدث الذي كان هذا فاصلا وجذريا بين ماكان وماصار فقد كانت ١٤ تموز قفزة الى الانطلاق من هيمنة جهة خارجية فصارت بغداد حرة فيما تفعل مع العربي ومع الكردي ومع غيرهما من الارومات والمذاهب ، فالأخوة العربية الكردية موضوعة في الاختبار منذ اليوم الذي قتل فيه نوري السعيد نانقطعت به جذور الماضي السياسي الرسمي وانتصب مكانه شيء جديد من كل وجه وفي كل حقل وجميع الميادين، ولسنا هنا بصدد الكلام في الأقتصاد وعموم السياسة والرؤى الاجتماعية فكلامنا يدور حول (الأخوة العربية الكردية) منذ اليوم الذي وجدت فيه نفسها موضع الامتحان العملي وليس من منظور الصياغة المقبولة للنوايا الطيبة من جانبي او من جانب غيري ، ماكان متصورا ان يحدث اعتداء من البصرة على رواندوز او الموصل ولاكان في بال اهل الشورجة ان يتلاكموا مع تجار السليمانية او يقوم سكنة الكرخ بقلع شتلات التبغ في حرير وبيبتوين وليس ذلك متصوراً اليوم او في غد فان اعتداء (الرعية) لا يكون الا على رعية مجاورة لها وهو كلام يصدق في العراق وفي جزائر واق الواق العراق ، ويمكن ان نضيف الى ذلك حقيقة اخرى وهي ان الشعور العام لم يزل محتفظا بطابعه القديم في بعده عن ان يكون عدوانيا من جانب

الشارع العربي والشارع الكردي على حد سواء واستطيع التأكيد على اني لم ألس خلال سكناي ببغداد منذ ١٤/٥/١٩٦٥ حتى يومي هذا في ١٢/٩/١٩٩٣ بأية مرارة في تعامل العربي معي بل أشهد أن قلوبهم ازدادت تفتحا لي بصورة مطردة . اقول ذلك تبياناً للحقيقة وتقريباً لمجمل الصورة في وضعها الى جانب ماحدث في لبنان خلال سنوات القتال الداخلي وهم معتبرون شعبا وأرومة واحدة وفي مراتب متقدمة من الحضارة .. وخلاصة القول ان الفترة بين اواسط تموز ١٩٥٨ ويومنا هذا هي المختبر الحقيقي للصلة بين العرب والكرد ولا أنوي الدخول في تفصيله ومايجب ومالايجب ولايجوز بل اترك موضوعه للقارىء يستعرضه في ضوء الحقائق المشروحة آنفا ...

وللعراق العزيز كل الأمانى الطيبة والدعوات الصالحات ...
ولمؤلف الكتاب شكري على حسن ثقته بي وتمنياتي له بالتوفيق من امي
مسعى صالح يتجشمه ...

مسعود محمد جلى زاده

بغداد :

١٢/٩/١٩٩٢